هل العذاب في القبر (عالم البرزخ) واقع على الإنسان؟؟

. . . العذاب في القبر (عالم البرزخ) واقع لا محالة ولا شك في هذا مطلقاً، ودليله القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا دليل (قطعي) سواهما مع موافقة العقل لهذا العذاب أو النعيم، لأنه لا يتنافى مع معطيات العقل الإنساني.

يقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١٠١]

فحياة الإنسان على مراحل ثلاث ـ الحياة الدنيا ـ عالم البرزخ بعد الموت، ويوم القيامة بعد البعث والنشور. . واللَّه سبحانه في الآية الكريمة تحدث عن أنواع ثلاثة من العذاب ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة في الدنيا لنفاقهم أو كفرهم ومرة في البرزخ بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة بعد الحساب فهو الذي أشار إليه اللَّه سبحانه بقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

. . . وقد استدل ابن عباس رضي اللَّه عنه على هذا من قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٢١]

إن العذاب الأدنى هو أحد العذابين، مرة في الدنيا لعلهم بهذا العذاب أو العقوبة يرجعون إلى اللَّه سبحانه ويؤمنون به.. ومرة في عالم البرزخ جزاء بما قدمت أيديهم في الدنيا، وأما العذاب الأكبر فهو بعد الحساب يوم القيامة وهو عذاب النار الذي أوجبه اللَّه سبحانه للكفار والمنافقين والعصاة.

... وأما الآيتان الكريمتان في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٤٥، ٤٦]

فقد جعلهما الفقهاء والعلماء أصلاً كبيراً في الاستدلال على عذاب البرزخ، فقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

فهو العذاب الذي نالهم عند الغرق عندما أطبق اللَّه سبحانه عليهم البحر بعد أن عبر موسى عليه السلام وقومه.

... وأما قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

فهذا الجزء من الآية يخص عالم البرزخ لأن النار لم تعرض عليهم في حياتهم الدنيا غدواً وعشياً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

فهذا خاص بيوم القيامة بعد حسابهم وعرضهم على اللَّه سبحانه، يأمر بهم فيدخلون نار جهنم خالدين فيها أبداً، وأما الأحاديث الشريفة الدالة على عذاب القبر فهي كثيرة نورد منها قوله ﷺ عن أنس وابن مسعود رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول

اللَّه ﷺ: «**إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى إنَّ البهائم لتسمع أصواتهم**».

[رواه الطبراني في المعجم الكبير وروى نحوه البخاري ومسلم]

...عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الميت ليعذب ببكاء الحي**».

[رواه البخاري ومسلم]

أي أن الميت ليعذب من العويل والويل وضرب الخدود والأيدي والصراخ من الأهل والأقرباء..لأن العبد إن كان صالحاً فإنه لا يريد أن يبكي عليه أحد بكاء العويل، لأنه أتى إلى رحمة اللَّه تعالى، وقد أدركها وأحس بها بعد موته وبعد سؤال الملكين وتأمينهما وتطمينهما له لأن رحمة اللَّه تعالى لا تقابل بالصراخ والعويل والبكاء الشديد. والمعنى واللَّه أعلم أن الميت المؤمن الصالح يتعذب نفسياً من صراخ أهله وبكائهم عليه..وأما الحزن ودمعة العين على فراق الميت فلا بأس بهما لأن هذا يدل على رقة القلب ومكانة الميت في قلب المحزون، وذلك لأن رسول اللَّه ﷺ قال بعد موت ابنه إبراهيم: «**إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنَّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

[رواه أبو داود في سننه]

لذلك على أهل الميت المؤمن الصالح الصبر والاستعانة باللَّه تعالى والاسترجاع وأن يقولوا: للَّه ما أخذ وللَّه ما أعطى ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، وعوضاً عن البكاء ندعو له ونتصدق عنه ونقضي دينه، وأمّا الكافر فيزداد عذاباً فوق عذاب الكفر من بكاء أهله وبما عوَّلوا وصرخوا وشقوا الجيوب ولطموا الخدود.

وقال رسول اللَّه ﷺ عن عذاب القبر أيضاً:

. . . عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **عذاب القبر حق** ».

[رواه الخطيب البغدادي وأورده السيوطي في الجامع الصغير]

. . . عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **الميت يعذب في قبره بما نيح عليه** ».

[رواه البخاري ومسلم]

وهذا الحديث يؤكد الحديث الشريف: « **إن الميت ليعذب ببكاء الحي** » كما أنه شاهد على عذاب القبر، وقد حمل العلماء التعذيب على من أوصى بالبكاء عليه والعويل.

. . . عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منه** ».

[رواه مسلم وأحمد والنسائي]

وقد أمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نتعوذ من عذاب القبر.

. . . عن زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **تعوذوا باللَّه من عذاب النار، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب النار، قال: تعوذوا باللَّه من عذاب القبر، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر** ».

[بعض حديث أخرجه مسلم في صحيحه]

ولقد استدل بعض العلماء والفقهاء على عذاب القبر من الآية الكريمة من سورة غافر التي سبق ذكرها.

يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ

وَلَمْ يُوحَ إِلَيَّ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٣]

. . . فقد استدل العلماء والمفسرون من الآية الكريمة على العذاب من قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ فاليوم أي في القبر (البرزخ) لأنّ تجزون لم تسبق بسين الاستقبال أو سوف المستقبلية، كأن يقول: أخرجوا أنفسكم ستجزون عذاب الهون أو سوف تجزون عذاب الهون، بل قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ .

إشارة إلى اليوم (البرزخ) بالمطلقية، لأن بعد وفاته لا يوم له في الدنيا فقد انقطعت أيامه من الدنيا.

وليس هو يومَ القيامة لأن اللَّه سبحانه لم يقل: ويوم القيامة تجزون عذاب الهون فتحدد اليوم قطعاً (بالبرزخ).

مما تقدم من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتبين أن عذاب القبر حق وواقع لا محالة، ونستطيع أن نقول كما يقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾:

[سورة فصلت، الآية: ١١]

إن الاستواء معلوم ولكن الكيف غير معلوم. نقول: إن العذاب واقع معلوم وكيفيته مجهولة، وهذا ما سنفرد له فِقرة كاملة للأهمية القصوى، ولأن محور الكتاب يدور حول البرزخ وحقيقة العذاب في البرزخ، وهل هو واقع أم غير واقع؟ ولا شك

في أن الكثيرين ينكرون عذاب القبر ولا يقرونه، وأيضاً فإن الكثيرين يثبتونه ويؤكدونه بالدلائل والقرائن، ونحن في هذا الكتاب سنقول الحق بإذن اللَّه من واقع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية، لأن الإنسان يجب أن يعلم من واقع كتاب ربه الحق حقيقة الأمر وكيف يؤول حاله بعد الموت وبعد البعث والنشور.